دينغ هيتسياو بينغ و إصلاحاته الاقتصادية في الصين
1904-1997م

م. فلاح مجيد حسون
مديرية تربية بابل

Ding Hiziao Ping and his economic reforms in China 1904-1997

Falah Majid Hassoun
Babylon District

ABSTRACT

This study is important because it studies the experience of a country that is considered one of the major countries at the global level and a superpower at the Asian level, which is a permanent member of the Security Council and the first country in terms of population, and China also has a military power that is not negligible, whether it is nuclear or conventional. The experience, through its successes, is to elevate China to an advanced position among countries at the global level, and has enabled China to play currently - and in the future - global roles of great importance, in addition to its influential and effective role in the Asian ocean.

Keywords: China, Deng Xiaoping, economic reforms.

ملخص البحث:

تكتسب هذه الدراسة أهميتها كونها تدرس تجربة لدولة تعتبر من الدول الكبرى على المستوى العالمي ودولة عظمى على المستوى الآسيوي، وهي عضو دائم في مجلس الأمن والدولة الأولى من حيث عدد السكان، كما تمتلك الصين قوة عسكرية لا يستهان بها سواء كانت النووية منها أم التقليدية استطاعت هذه التجربة من خلال نجاحاتها ان ترتقي بالصين إلى مكانة متقدمة بين الدول على الصعيد العالمي، ومكنت الصين من ان تلعب حالياً – ومستقبلاً – ادواراً عالمية على قدر كبير من الأهمية، فضلاً عن دورها المؤثر والفعال في المحيط الآسيوي.

الكلمات المفتاحية : الصين ، دينغ هيتسياو بينغ ،الاصلاحات، الاقتصادية .

المقدمة.

شهدت الصين بعد وفاة الزعيم الصيني ماو تسي تونج في عام 1976 فوضى وصراع سياسي استمر لعامين بعدها وصل الى دفة الحكم قيادة تمتلك رؤية مختلفة عن الرؤية التي كانت تسود في المدة السابقة, هذه الرؤية عمل بها ورسخها الرئيس دينغ هتشياو بينغ, تبعاً لذلك تغيرت الاولويات بالنسبة للقيادة في الصين ليتصدر الأولويات هدف الإصلاح الاقتصادي وتحقيق مستوى من العيش الكريم للمواطن الصيني وصولاً إلى رفاهية هذا المواطن.

إن استلام قيادة جديدة لزمام الأمور في الصين في عام 1978 كان قد اشر لبداية جديدة في مسيرة الصين والتي انتقلت فيما بعد بالصين إلى مستويات اقتصادية متقدمة قياساً لما كان عليه الحال قبل عام 1978 والتي تذهب باتجاه الانفتاح على العالم الخارجي ولاسيما العالم الغربي، وأحداث إصلاحات اقتصادية تكون كفيلة

بتحقيق الاكتفاء الذاتي للصين ومن ثم تحقيق مستويات من الرفاهية مرضية للمواطن الصيني لذا عملت القيادة الجديدة كل ما بوسعها لتحقيق ما كانت عزمت على تحقيقه فقد سخرت سياستها الخارجية
لتكون في خدمة السياسة الداخلية فكان خيار الانفتاح على العالم الخارجي خياراً اساسياً بعد عام 1978, لذا قسم البحث الى مقدمة وثلاث مباحث وخاتمه, تناول المبحث الأول أوضاع الصين الداخلية والخارجية في عهد الرئيس ماو تسي تونغ 1949–1976, وتطرق المبحث الثاني الى حياة الرئيس دينغ هشياو بينغ 1904 – 1997, بينما حمل المبحث الثالث عنوان الصين في عهد دينغ هيسياو بينغ 1976–1992.

المبحث الاول: أوضاع الصين الداخلية والخارجية خلال عهد الرئيس ماو تسي تونغ 1949–1976.

الاوضاع الداخلية 1949–1976

تولى ماو تسي تونغ رئاسة الدولة واعلن عن تشكيل جمهورية الصبن الشعبية في 1 تشرين الاول 1949 مع احتفاظه بالمناصب الاخرى كرئاسة الحزب الشيوعي واللجنة المركزية, وقد اعلن عن برنامج الحكومة الجديد ومحاولتها النهوض بالصين من مختلف النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والغاء الامتيازات الاجنبية للدول الاستعمارية والاهتمام بالقوات المسلحة وحرية التعبير والعدالة الاجتماعية وذلك من خلال بيانه الذي القاه امام الشعب الصيني, لذا اخذ على عاتقه السير بالصين الى الحياة الجديدة التي سعى الى تحقيقها وتحويلها الى امة متمدنة وعصرية من خلال اعادة بناء مؤسسات الدولة وفق متطلبات المرحلة الجديدة [1] وإصلاح ما لحق بها وبنيتها التحتية من دمار جراء الصراعات الداخلية، والتي كان في مقدمتها نقل العاصمة من نانكينغ إلى بكين واعتمد علماً جديداً أحمر اللون يرمز للدماء التي سالت أثناء الثورة الشيوعية الصينية وفيه نجمة ذهبية كبيرة الحجم ترمز للحزب الشيوعي الصيني تحدها من جهة واحدة أربع نجوم ذهبية صغيرة الحجم ترمز إلى الطبقات الاجتماعية التي توحدت بإنتصار الحزب الشيوعي عام 1949 وهي طبقات العمال والفلاحين والعسكريين والرأسماليين[2]

حدد ماو تسي تونغ هيكلية الدولة خلال المؤتمر الاستشاري للحزب الشيوعي الذي عقد قبل إعلان جمهورية الصين الشعبية في 21 من أيلول عام 1949 إذ تقرر أن تتكون ادارة الدولة من رئيس الدولة ومجلس حكومة هو بمثابة مجلس وزراء ويتكون من رئيس المجلس وعشرين وزيراً يتولون مهام الوزارات فضلاً عن اللجان الفرعية[3] ومن أجل حماية الدولة الفتية وتنفيذ سياستها دون معوقات قرر ماو البدء بتنفيذ ما عرف بالحملات الجماهيرية

---

[1] شارل هو, **الصين ثورة من ؟** , مركز دراسات الاشتراكية, مصر, 1995, ص5.

[2] عفاف مسعد العبد, **دراسات في تاريخ الشرق الاوسط**, دار المعرفة الجامعية, الاسكندرية, بلا, ص 97.

[3] شارل هو, **المصدر السابق**, ص6.

التي كان هدفها القضاء على رجالات الكومنتانغ (الحزب الوطني الصيني)والمعادين للشيوعية واستخدم الشرطة والجيش وكوادر الحزب لتنفيذ تلك الحملات[4].

شرع ماو بتنفيذ الحملة الاولى عام 1950 والتي أطلق عليها أسم (مقاومة أمريكا ومساعدة كوريا) اذ تم فيها تصفية الاجانب والغاء المصالح الاجنبية في البلاد اضافة الى مصادرة الدوائر الغربية من مدارس ومستشفيات وكنائس ودور الايتام[5], بدات في شباط عام 1951 الحملة الثانية وكانت تهدف الى القضاء على ما يعرف بـ(الثورة المضادة) وحسب رأي ماو تسي تونغ ان رجال الثورة المضادة هم موظفي الكومنتانغ الكبار ولاسيما أولئك الموجودين في صفوف قوات الشرطة والأشخاص الذين كانوا في الماضي يرتبطون بعلاقات مع الأجانب ورجال الدين لاسيما الكاثوليك وجميع مناصري النظام القديم الذين لم يغادروا الصين تايوان, استمرت الحملة الثانية طوال عام 1951, وما ان انتهت حتى بدأت حملة أخرى عرفت باسم الآفات الثلاثة وهي (البيروقراطية, الفساد والإسراف) أو (سان فان) والتي استمرت حنى نهاية عام 1952 اذ عملت على تطهير الحزب الشيوعي من الذين تعارضت افكارهم مع ماو او أصبح ولاؤهم مشكوكاً فيه وتعرضت ذممهم للإفساد[6].

شهدت الصين في اوائل عام 1953 حملة أخرى عرفت بإسم (يوفان) أو الآفات الخمس وهي الجرائم والجنح الاقتصادية فضلاً عن الآفات الثلاثة التي جرى ملاحقتها في الحملة السابقة لكن حملة يوفان كانت أطول الحملات من حيث المدة إذ استمرت إلى نهاية عام 1954. كان لتلك الحملات اثرها في فرض سيطرة الحزب الشيوعي على كافة مؤسسات الدولة ومفاصل الحياة المختلفة إذ شهدت الصين تغيراً كبيراً في مرافق الحياة بمختلف مجالاتها وفق واهداف وروى الحزب الشيوعي, وعلى اثر ذلك قرر الرئيس ماو تسي تونغ في 10 نيسان 1953 – قبل ان تنتهي الحملات– بأجراء انتخابات عامة في جميع البلاد لاختيار اعضاء المجلس الوطني الصيني[7].

اجريت في 20 آب عام 1953 الانتخابات، شارك فيها أغلب أبناء الشعب الصيني، وتعد تلك هي المرة الأولى التي تجري فيها انتخابات عامة في تاريخ الصين والتي أثمرت عن تشكيل المجلس الوطني لنواب الشعب والذي ستكون أبرز مهامه هو إقرار دستوراً للبلاد, شرع ماو بإيجاد دستور يتناغم مع مبادئ الحزب الشيوعي تسير وفقه الدولة الصينية الجديدة، فشكل في نهاية عام 1953 لجنة برئاسته وعضوية شو ان لاي وتشين يون

---

[4] وو بن, **صينيون معاصرون**,ج1, ترجمة, عبد العزيز حمدي, المجلس الوطني للفنون والآداب, الكويت , 1996, ص51.

[5] صلاح خلف مشاي, **سياسة الصين تجاه القضية الكورية 1945-1953**, اطروحة دكتوراه, كلية التربية, الجامعة المستنصرية, 2013, ص139.

[6] عفاف مسعد العبد, **المصدر السابق**, ص99.

[7] عفاف مسعد العبد, **المصدر السابق**, ص 99.

وخبراء قانونيين أخرين مهمتهم صياغة بنود ذلك الدستور معتمد في ذلك على المنهاج العام الذي أقره المؤتمر الاستشاري لعام 1949[8].

اكملت لجنة صياغة الدستور أعمالها في 10 آب 1954 وسلمت لائحة الدستور، الذي أطلق عليه الدستور الماوي نسبة إلى ماو تسي تونغ، إلى المجلس الوطني الذي أقره في 20 أيلول عام 1954, تضمن الدستور فضلاً عن ديباجته أربعة فصول مقسمة إلى عدة أبواب شكلت في مجموعها 106 مادة, استمر العمل به احدى وعشرون سنة اذ تم استبداله عام 1975 بدستور أخر[9].

ضمن ماو تسي تونغ بموجب الدستور أن الصين الجديدة تسير من الناحية السياسية على خطى ثابتة ومدروسة ووفق منهج الحزب الشيوعي، فضلاً عن ذلك فقد استحدثت في هذا الدستور وظيفة الرئيس الفخري للبلاد ومنحه صلاحيات واسعة فاصبح خارج سلطة القانون والحزب الشيوعي، وقد شغل ماو هذه الوظيفة بعد عام 1959 إذ ترك منصبه كرئيس للجهورية واكتفى بمنصب الرئيس الفخري للبلاد، وذلك بسبب التداعيات التي حدثت جراء مشروع القفزة الكبرى[10]

- الجانب الاقتصادي

اتجه ماو الى الاهتمام بالجانب الاقتصادي للصين وفق النمط الاشتراكي في بناء وتطوير الدولة إلى جانب الناحية السياسية, اذ ركز جل اهتمامه في المناطق الخاضعة له وهي عملية الاصلاح الزراعي التي أعتبرها حبل النجاة لملايين الأشخاص وذلك لأنهم يعيشون في بلد أغلب سكانهم من الفلاحين ويعتمد اقتصاده بالدرجة الأولى على الزراعة، لذلك صدر في 28 من حزيران عام 1950 قانون الإصلاح الزراعي والذي طبق في الريف وبأشراف مباشر من كوادر الحزب الشيوعي ان الهدف من صدور القانون هو أنصاف فقراء الفلاحين والعمال الزراعيين عن طريق تحديد عمل الأغنياء منهم والملاكين الكبار فضلاً عن مصادرة أراضيهم وتوزيعها على الفقراء من الفلاحين، وأن تلك العمليات لقانون الإصلاح الزراعي تم تطبيقها على أربعة مراحل[11]هي:

المرحلة الأولى : تقوم كوادر الحزب في هذه المرحلة بدراسة مجموعة معينة من القرى واختيار القرية النموذجية التي سوف يطبق فيها القانون ثم بعدها يعمم القانون في القرى الأخرى، وفي أثناء ذلك يقوم عدد من الفلاحين والمدربين من الكوادر الحزبية في تلك القرى بشرح سياسة الحكومة وما يعنيه الإصلاح الزراعي لباقي زملائهم ومناقشة مساوئ الماضي واستبداد الملاك بهم كي يؤمنوا بالإصلاح الزراعي ويستوعبوا مبادئه ويتهيؤا نفسياً لتنفيذه.

---

[8]شارل هو, **المصدر السابق**, ص7.

[9]صبيح بشير عذاب, **التغلغل الاسرائيلي في الصين الدوافع والاهداف**,(بحث), مركز الدراسات الفلسطينية, جامعة بغداد, العدد, السابع, 2008, ص 147.

[10] جورج مدبك, **السياسي والمفكر والزعيم الصيني ماو تسي تونغ**, دار الراتب الجامعية, بلا, ص 13.

[11] **المصدر نفسه**, ص14

وقد صاحبت تلك المرحلة عملية التخلص من الأشخاص المشكوك بولائهم داخل الاتحادات الزراعية ووضع أشخاص موالين للحزب كذلك انشئت محاكم خاصة من اجل حل مشكلات الفلاحين ومحاربة نفوذ الملاكين وشل حركتهم[12].

المرحلة الثانية : هي مرحلة المحافظة على النظام الذي تم تأسيسه خلال المرحلة الأولى في القرية ودعم صغار الفلاحين وإعطاء الحرية لهم في ممارسة أعمالهم بأنفسهم بدون سيطرة الملاك، حيث تنتهي مرحلة الإرشاد والتوجيه وتبدأ مرحلة عمل الفلاحين بأنفسهم لتطبيق ما تلقوه من إرشاد وتوجيه من قبل الكوادر الحزبية في القرى، وتعد هذه المرحلة من الأهمية بحيث يتم فيها مناقشة موضوعات الإصلاح في الاتحادات الفلاحية وتقديم الشكاوي والاقتراحات لها من قبل الفلاحين ثم تناقش في اجتماع عام وترفع القرارات الى الحكومة المحلية في الاقليم لإقرارها وإعلانها بصفة رسمية.

المرحلة الثالثة : تتم فيها مصادرة اراضي وممتلكات المشمولين بقانون الإصلاح الزراعي وعلى رأسهم طبقة الملاك وأراضي العبادة وغيرها[13].

المرحلة الرابعة : تم في هذه المرحلة قيام الملاك والمشمولين بإجراءات المصادرة بتسليم ما لديهم من عقود تمليك الأراضي إلى باقي طبقات الفلاحين بحضور الكوادر الحزبية في القرى وأشرافهم فضلاً عن الايصالات والصكوك والتي تثبت ديونهم على الفلاحين اذ يتم احراق هذه القرارات في اجتماع عام بعد فحصها للتأكد من سلامتها من التزوير ثم تسلم في نهاية هذه المرحلة عقود تمليك جديدة إلى صغار الفلاحين والعمال الزراعيين والتي تثبت ملكيتهم لتلك الأراضي

ومن اجل تطبيق قوانين الاصلاح الزراعي الاربع اخذت كوادر الحزب الشيوعي على عاتقها القيام بتلك المهمة وشكلت العديد من اللجان والتي تنقلت من قرية إلى قرية في الريف الصين وبموجبها تم مصادرة أراضي ومنازل الملاكين الكبار وتوزيعها على الفلاحين فضلاً عن القضاء على كل أشكال الاقطاع وتحرير أكثر من (300مليون فلاح) من العبودية كما كان من نتائج هذا القرار ايضا زيادة الانتاج الزراعي في مختلف أشكاله وتنوعاته[14].

تبنى الرئيس ماو تسي تونغ والحكومة الصينية منذ عام 1953 خططاً أمدها خمسة سنوات عرفت بالخطط الخمسية الى جانب قانون الإصلاح الزراعي هدفها النهوض بالاقتصاد الصيني وخلق القاعدة الصناعية الأولية للتصنيع الاشتراكي في البلاد والتمويل الاشتراكي للزراعة وتنمية الصناعات الحرفية وتحويل الجزء الأكبر

---

[12] فهمي هويدي, **الاسلام في الصين**, المجلس الوطني للفنون والآداب, الكويت, 1981, ص 89.

[13] وو بن, **صينيون معاصرون**,ج1, المصدر السابق, ص 60.

[14] جورج مدبك, **المصدر السابق**, ص15.

من الصناعة والتجارة الرأسمالية (الخاصة) إلى رأسمالية الدولة وملكيتها أي التحول من القطاع الخاص إلى القطاع العام[15]

مشروع التعاونيات الزراعية 1953-1958

برزت بعض المعوقات عندما بوشر بتطبيق قانون الإصلاح الزراعي في أنحاء البلاد كافة أبرزها عدم امتلاك الفلاحين الادوات التي تمكنهم من استغلال الارضي الزراعية التي وزعت لهم، لذا فقام الرئيس ماو تسي تونغ بدراسة تلك المشكلة فأوجد لها حلاً مناسباً إذ طلب بتشكيل فرق تعاونية من الفلاحين كل فرقة تتكون من بضع عائلات تقوم بأعمال الزراعة.

استمر العمل بنظام الفرق إلى أن صدر في 16 كانون الأول عام 1953 قرار اللجنة المركزية للحزب والقاضي بتحويل الفرق التعاونية إلى جمعيات تعاونية أولية للإنتاج الزراعي[16] التي كانت ذات طبيعة شبه اشتراكية وتتصف بدمج الأراضي وجعلها بمثابة أسهم وتكون تحت إدارة موحدة بلغ عددها في عام 1953 (14,000 ألف) تعاونية وأزداد العدد بصورة كبيرة حتى وصل عددها إلى (100,000 ألف) تعاونية في نهاية عام 1953, وازداد العدد حتى وصل الى (650,000) وبلغ عدد العوائل (16,900,000) بعد هذا الاتساع في الجمعيات طالب الرئيس ماو تسي تونغ في الواحد والثلاثين من تموز 1955 اللجنة المركزية للحزب الشيوعي إلى تطوير تلك الجمعيات إلى وحدات تعاونية أكثر عدداً واكثر تقدماً وذلك عن طريق الإسراع في دمج الجمعيات والذي بدوره سيؤدي إلى تطوير الزراعة وزيادة الانتاج[17].

مشروع القفزة الكبرى إلى الإمام عام 1958

بدأ تنفيذ مشروع القفزة الكبرى بعد أن أقره المؤتمر الوطني للحزب الشيوعي في أيار 1958 وقع على عاتق اللجان الحزبية في القرى والأرياف تعبئة الجماهير واطلاق الحملات الكبرى من أجل تنفيذ ذلك المشروع.

خلال الأشهر الأولى لمشروع القفزة الكبرى إلى الإمام حدث تقدم ملموس على مستوى الانتاج الزراعي والصناعي وتم استحداث عدة مشاريع للري وبناء بعض السدود والخزانات البسيطة والبدائية، لكن مع بداية عام 1959 أخذت المحاصيل في التناقص[18] وتوقفت الأعمال الانشائية وبدأت المجاعة تنتشر في البلاد فتقرر الغاء مشروع القفزة الكبرى عام 1960 بعد أن كان مقرر له أن يستمر إلى عام 1962، ويمكن تقسيم الأسباب التي أدت إلى فشل مشروع القفزة الكبرى إلى الإمام إلى داخلية وخارجية منها:

أ-الداخلية

1-عملية الإعاقة وحملات التشويه التي أطلقها بعض قادة الحزب أمثال ليوشاو

---

[15] عفاف مسعد العبد, **المصدر السابق**, ص 100.

[16] وو بن, **صينيون معاصرون**,ج1, المصدر السابق, ص 62.

[17] محمد علي القوزي واحسان العلاق, **تاريخ الشرق الاوسط الحديث والمعاصر**, ط1, دار النهضة العربية, بيروت, 2001, ص 132.

[18] جورج مدبك, **المصدر السابق**, ص17.

شي وبنغ دي هواي والسبب في ذلك لارتباطهم بزعيم الاتحاد السوفيتي خروشوف

2-لم تكن هناك حسابات موضوعية عن كيفية توزيع وتنويع الانتاج في الريف فضلاً عن افتقار البلاد إلى نظام المواصلات الحديثة الذي يمكن من خلاله نقل المحصول من الريف إلى المدينة بالسرعة المطلوبة

3-اعتمد مشروع القفزة الكبرى على إرادة الإنسان في البناء والتقدم وعلى الوسائل البدائية دون الاعتماد على التقنيات الحديثة والتخطيط المسبق

4- حدوث كوارث طبيعية كالجفاف الذي حصل خلال موسمي (1959-1960) أدى إلى تلف الكثير من المحاصيل فحصلت المجاعة وتسببت بمقتل الملايين من المواطنين

5- العمل الشاق والمرهق للعمال والفلاحين إذ طلبت السلطات منهم العمل بصورة مستمرة دون توقف أو راحة كما عملت الآلات دون صيانة مما أدى في النهاية إلى تعطيل الكثير منها وانهيار قوى الفلاحين[19]

ب-الخارجية

1-انسحاب المستشارين السوفيت من كافة المؤسسات الصناعية والعسكرية وهو ما أنعكس سلبياً على مشروع القفزة الكبرى

2- انشغال البلاد في حروب إقليمية تزامنت مع مشروع القفزة الكبرى وكان أبرزها الحرب الفيتنامية[20].

وجهت العديد من الانتقادات الى ماو تسي تونغ والتي كان لها التأثير الكبير عليه على الرغم من نتائج المشروع الايجابية والسلبية, خصوصاً بعد ظهور بوادر الاولى لفشل المشروع لذا قرر الرئيس ماو تسي تونغ ترك منصب الرئيس إلى ليو شاو شي وذلك في 1 تشرين الأول عام 1959 واكتفى بمنصبه كرئيس للحزب الشيوعي الصيني وقائداً للثورة.

---

[19] فؤاد محمود شبل, **حكمة الصين**, ج2, القاهرة 1968, ص 163.

[2] الحرب الفيتنامية : تعود جذور هذه الحرب حينما قامت حكومة فيتنام الشمالية بزعامة هوشي منه عام 1956 المدعومة من الصين الشعبية والاتحاد السوفيتي بتحريض أنصارها ضد حكومة فيتنام الجنوبية المتحالفة مع الولايات المتحدة وفي= =عام 1957 بدأت قوات الفيتكونغ بالتمرد على الحكومة الجنوبية وأعلنوا عام 1960 عن قيام جبهة التحرير الوطنية وقد أعلنت حكومة هوشي منه في الشمال عن تأييدها لتلك الجبهة فكانت تلك بداية للحرب التي اشتركت بها الولايات المتحدة منذ عام 1963 لصالح حكومة فيتنام الجنوبية ضد فيتنام الشمالية واستمر التدخل الامريكي إلى عام 1973 حيث انسحبت القوات الامريكية، فاستغلت قوات فيتنام الشمالية ذلك الوضع وقامت باحتلال عاصمة فيتنام الجنوبية سايغون عام 1975 وأعلنت انتصارها في تلك الحرب. ينظر: لمياء محسن محمد الكناني، **سياسة الولايات المتحدة تجاه جنوب شرق أسيا دراسة تاريخية في القضية الفيتنامية (1945-1975)**، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، 2004 .

مشروع الكومونات[21] الشعبية

في 9 آب 1958 قام ماو تسي تونغ بزيارة الى أحدى التعاونيات الزراعية في إقليم شانتونغ واستعرض سبل تطبيق مشروع القفزة الكبرى فوجد أن الطريق الأسرع والأكثر انتاجا لتحقيق النجاح في ذلك المشروع فضلا عن التحول المباشر نحو الشيوعية هو عن طريق تأسيس كومونات شعبية, وعليه صدر 27 آب 1958 مرسوماً رئاسياً يقضي بتعميم تجربة الكومونات الشعبية، فبين المرسوم إن تحقيق الشيوعية في الصين لم يعد منظور بعيد جداً ولسوف تعتمد على الكومونات الشعبية في محاولة شق طرق جديدة إلى المجتمع الشيوعي, أن الكومونة الشعبية تعني اتحاد عدد من التعاونيات الزراعية ضمن مجتمع مستقل في شؤون الصناعية والزراعية والتجارية والثقافية والتعليمية وأن على المواطنين داخل الكومون الانتظام ضمن جماعات صغيرة تماثل تقريبا الوحدات العسكرية ويتم اعطاءهم ما يحتاجون اليه من طعام وملابس دون أن يكون لهم أملاك خاصة, وقد رسم الرئيس ماو اهدافاً تسعى الكومونات الى تحقيقيها وهي:

1–تربية إنسان مجتمع المستقبل الشيوعي فكرياً وسياسياً وأخلاقياً

2–تنمية القوى المنتجة بوتيرة متسارعة عن طريق مكننة الزراعة وتنوير الارياف وعن طريق شن معركة كبرى ضد الطبيعة وتعبئة طاقات الجماهير.

3– تسريع عملية التحول في علاقات الانتاج من الاشكال التعاونية للملكية الاشتراكية إلى الملكية الشيوعية للشعب قاطبة[22]

صارت العلاقة اكثر ارتباطاً في ظل نظام الكومونات بين الفلاح والدولة الصينية عن طريق الاعتماد على نظام الاكتفاء الذاتي داخل الكومون وتزويد الدولة بالإنتاج الفائض إلى جانب ذلك أصبح الفلاحين أكثر فاعلية داخل نظام الجماعة كما أن نظام الكومون حرر المرأة من القيود الأسرية الصينية، فأسندت لها وظائف انتاجية فأصبحت أكثر استقلالية.

ساهمت عدة عوامل في افشال تطبيق نظام الكومونات الشعبية والتي منها سرعة تطبيق القرار الخاص بتعميم النظام دون توفير الامكانات اللازمة والموضوعية فضلاً إلى تغير نمط (300 مليون فلاح) في مدى أسابيع قليلة دون أن توضع تحت متناولهم وسائل تقنية جديدة[23]، كل هذه الأسباب أدت في النهاية إلى تعثر مشروع الكومونات الشعبية، فضلا عن أن انهيار مشروع القفزة الكبيرة أثر وبشكل مباشر أيضاً على مشروع

---

[21] الكومون (Commune) وهي عبارة عن تشكيل من طبقات الصناع والتجار للدفاع عن مصالحهم المشتركة ثم أطلق على أصغر وحدات التقسيم الإداري في فرنسا وايطاليا وسويسرا، وأشهر الكومونات هي كومونة باريس الثورية التي حلت محل بلدية باريس خلال الثورة الفرنسية ام 1789 وأيضاً كومونة حكومة باريس الاشتراكية التي تصدت للهجوم البروسي عام 1871. للمزيد ينظر: **Arbhttp://e:ites/Mao for**

[22] **Arbhttp://e:ites/Mao for**

[23] فؤاد محمد شبل, **المصدر السابق**, ص 146.

الكومونات التي تقلصت في النهاية إلى مجموعات وقرى صغيرة عام 1960، مما دفع اللجنة المركزية إلى إصدار قرارها في أيلول عام 1961 الخاص بتنظيم عمل الكومونات.[24]

مشروع الثورة الثقافية[25]

تميز المجتمع الصيني بعدم التوازن الثقافي إذ تركز المثقفون والمتعلمون في المدن في حين أن أغلب سكان الريف هم من الاميين والكسبة وأصحاب الأعمال اليدوية، لذلك قرر الرئيس ماو تسي تونغ وضع حداً لهذا التفاوت في المجتمع وتحقيق الاندماج ما بين المثقف والعامل كما سعى في القضاء على بعض العناصر داخل الحزب ممن بدئوا (حسب رأي ماو تسي تونغ) يتراجعون عن النهج الشيوعي وعلى الحزب كله أن يرفع عالياً الراية الكبرى للثورة الثقافية البرولتيارية[26] وأن يفضح بصورة تامة الموقف البرجوازي الرجعي الذي يقف أولئك (الثقات الاكاديميون) المزعومون المعادون للحزب والاشتراكية وأن ينقد ويدحض بصورة تامة الافكار البرجوازية الرجعية في أوساط الاكاديميين ورجال التربية والتعليم والصحافة والأدب والفن والنثر وأن ينتزع سلطة القيادة في هذه الميادين الثقافية, وأن القوة الرئيسية للثورة هي جماهير الفلاحين والعمال والجنود والمثقفين الثوريين والكوادر الثورية وأن أفكار ماو تسي تونغ هي المرشدة للثورة الثقافية الكبرى[27], وعليه قامت الحكومة الصينية بوقف الدراسة بشكل مؤقت واعادة تشكيل المدارس وإعداد المناهج الدراسية وأرسال الطلاب والمعلمين والفنانين والمثقفين والأطباء للعمل لفترة معينة داخل المزارع والحقول كما منعت كافة الاجهزة التعليمية التي كانت تستورد من الغرب واعيدت هيكلية الجامعات والدوائر الحكومية وتم تشجيع الطلاب للالتحاق بالمدارس المهنية المختصة في مجال الزراعة والصناعة, أستطاع ماو من خلال تطبيق الثورة الثقافية أن يتخلص من خصومه داخل الحزب أمثال ليو شاو شي الذي عزل عن منصبه عام 1968[28]، فأصبح بذلك ماو القائد الأوحد داخل الصين وتولت مطابع الحكومة طباعة أراء وأفكار ماو في كتاب صغير عرف بالكتاب الأحمر وصار لازماً على جميع المواطنين حمله وقراءته في كافة الأماكن, أن تصفية الخصوم والانفراد بالقرار السياسي هي أحدى الانتقادات التي وجهت إلى الثورة الثقافية التي قام بها ماو تسي تونغ لكن بالرغم من كل ذلك فأن الثورة الثقافية[29]، حققت تقدماً واضحاً في مجال التربية إذ تغيرت الجامعات الصينية التي كانت في بداية الستينات محصورة فقط لأبناء وبنات المثقفين والطبقات ذات الامتيازات السابقة، ليصبح الطلبة من أبناء الفلاحين والعمال هم الاغلبية الساحقة داخل المجتمع الجامعي، كما تم إصلاح مناهج التدريس القديمة وكذلك أهملت طرق التدريس التقليدية وانتهجت طرق تقوم على

---

(3) **المصدر نفسه**, ص147.

[25] للمزيد من التفصيل عن الثورة الثقافية في الصين, ينظر: ريتشارد كيرت كراوس, ط1, **الثورة الثقافية الصينية**, ترجمة, شيماء طه الريدي, القاهرة, 2014.

[26] نوري عبد الحميد العاني وآخرون، **تاريخ آسيا الحديث والمعاصر**. ط1، بغداد، 2006.ص ص 44-45.

[27] نوري عبد الحميد العاني واخرون, **المصدر السابق**, ص45.

[28] شارل هو, **المصدر السابق**, ص 14.

[29] وو بن, **المصدر السابق**, ص 275.

مزج الدراسة والبحث العلمي مع العمل المنتج, بناء على ما تقدم كانت الثورة الثقافية حدثاً تاريخياً غير مسبوق استنهض فيه ماو نشاط الجماهير وروحها الابداعية للحيلولة دون اعادة تركيز النظام القديم وللمضي قدما صوب الغاء الطبقات والعلاقات الاضطهادية كافة[30].

المحور الثاني: حياة دينغ هشياو بينغ 1904 - 1997

وُلد دينغ هشياو او (هتسياو) بينغ في الثاني والعشرين من آب عام 1904 في بلدة (قوانغ آن) بمقاطعة سيتشوان جنوب غرب الصين، لعائلة فلاحية ميسورة, دخل المدرسة الابتدائية في عام 1911، وهو نفس العام الذي أطيح فيه بآخر إمبراطور في تاريخ الصين، الإمبراطور بو يي من أسرة تشينغ، في الثورة التي قادها صن يات[31] صن, تدرّج في مدارس المقاطعة حتى الثانوية العامة ثم سافر إلى فرنسا في مطلع العشرينات، في برنامج للعمل والدراسة وهو فتى في السادسة عشر من عمره, وفي فرنسا، أحسّ بالتيارات الفكرية السياسية الرئيسية المتصارعة آنذاك، الثورة الصناعية والثورة البلشفية، وانجرف لتلك التيارات، وتعرّف على الأفكار اليسارية، خاصة الماركسية، وتأثر بها. ومن فرنسا، وفي عام 1921 تأسيس الحزب الشيوعي الصيني، انضم إلى رابطة الشباب الشيوعيين الصينيين في أوروبا، بقيادة الزعيم الصيني المعروف الراحل تشو إن لاي[32]، وفي عام 1924 انضم للحزب الشيوعي الصيني. غادر باريس عام 1926، وأخذه الطريق نحو موسكو، حيث تعرّف أكثر على الأفكار اليسارية، وتعززت روحه الثورية، ثم طلبت منه الأممية الشيوعية (الكومنترن)[33] التي استقبلته في موسكو، أن يعود للصين نهاية عام 1926, خلال خمس سنوات في فرنسا، وبسبب برنامجه المكثف للعمل والدراسة وسحنته الموحية بأصله الشرقي وكونه من الصين المتهمة بالشيوعية، لم يكن لديه الوقت الكافي ولا الفرصة ليتقرب أكثر من الحياة الفرنسية، لكنه شعر بالحياة الثقافية الغربية من فن وأدب وفلسفة وسياسة وحقوق وأشدّ ما جذب اهتمامه هو التطور التكنولوجي الذي تمناه لبلده الفقير المتخلف[34].

---

[30] ريتشارد كيرت كراوس, **المصدر السابق**, 160.

[31] صن يات صن (1866-1925)، ولد بمدينة سيانيك بإقليم كوانج، تعلم في المدارس التبشيرية الامريكية والبريطانية، درس الطب في هونغ كونغ وتخرج عام 1892، بدأ نشاطه السياسي عام 1894 بتأسيس منظمة سياسية عرفت باسم جمعية أحياء الصين، قاد عدة حركات ضد أسرة المانشو إلى أن أسقطها بثورة عام 1911 وأسس الجمهورية الصينية= =للمزيد ينظر : ستار حامد عبد الله العماري، **الزعيم الصيني صن يات صن (1866-1925)** دراسة تاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية التربية – صفي الدين الحلي – جامعة بابل، 2011، ص8-31 .

[32] شو أن لاي (1898-1976) ولد في اقليم كيانغسي من أسرة ذات مكانة رفيعة التحق بالمدارس الصينية ذات النمط التعليمي الحديث وتخرج من الثانوية عام 1917 ، أكمل دراسته الجامعية في أوربا والتحق بالحزب الشيوعي الصيني عام 1921 وأصبح من الأعضاء البارزين فيه تولى بعد عام 1949 منصب رئيس حكومة الصين الشعبية وكان من أقطاب حركة عدم الانحياز للمزيد ينظر :

Encyclopedia, New Britannica Vol.12, P.913

[33] الكومنترن : هيئة سياسية أسسها الروس في موسكو عام 1919 لتكون مسؤولة عن أنشاء أحزاب وحركات شيوعية خارج روسيا وتوجيهها بما يخدم المصالح الروسية كانت في البداية تضم الشيوعيين الروس والالمان لكنها توسعت لتضم جميع الأحزاب الشيوعية العالمية، الغيت هذه الهيئة عام 1943، للمزيد ينظر: أيفان بروشيف، **المسألة القومية بالاتحاد السوفيتي**، تعريب فارس غصوب، دار الفارابي، بيروت، 1973، ص47-55.

[34] فوزي درويش, **الشرق الاقصى الصين واليابان 1853-1972**, مطابع غباشي, القاهرة, 1997, ص 132.

عاد إلى الصين في مطلع عام 1927، فقام بتغيّر اسمه من دينغ شياو شينغ إلى دينغ شياو بينغ (شياو بينغ تعني السلام الفتيّ)، في إشارة إلى بداية مرحلة جديدة هامة في حياته، والتأكيد على انتمائه الوطني بجانب تأثره بأفكار كارل ماركس[35], ثم عزّز ارتباطه بالحزب الشيوعي الصيني الذي لم يمض على تأسيسه آنذاك سوى 6 سنوات، في فترة كانت الصين خلالها ضعيفة تحت حكم أمراء حرب مصلحيّين يتقاسمون النفوذ على مناطقها، ويتنازلون كثيرا للأجانب، حتى باتت الصين شبه مستعمرة، والناس يعانون تحت وطأة ظروف صعبة ومعقدة من القرن التاسع عشر ويئنون تحت جراح اجتماعية وسياسية وفوضى ونزاعات خطيرة، والبلاد تواجه ضغوطا داخلية وخارجية تفرضها التطورات التي يشهدها العالم في حينه, استقر دنغ في شمال الصين أولا، لكنه أضطر للانتقال جنوبا بسبب الحملة القوية لحزب الكومينتانغ[36] بزعامة تشيانغ كاي شيك[37] ضد الشيوعيين. في الجنوب التقى مرة أخرى برفيقه شون إن لاي بمدينة ووهان التي أصبح سكرتير الحزب الشيوعي الصيني فيها. في تلك الفترة، كان يسهم أيضا في تأجيج الاحتجاجات الشعبية في شانغهاي ضد الكومينتانغ، ثم ساهم بقيادة انتفاضة شعبية غير موفقة في مقاطعة كيانغسي [38] في عام 1929 ضد حكومة الكومينتانغ هناك، حتى اشتعلت الحرب الأهلية بين الحزب الشيوعي الصيني وحزب الكومينتانغ (1927– 1949)، واستعر أوارها وتلظى بنارها وويلاتها كل الصينيين، لا سيّما الشيوعيين. رغم قصر قامته، كان مميزا ببنية جسدية قوية وحضور مؤثر وتعليم وثقافة وميول ماركسية ووطنية واضحة أهلته لعضوية متميزة في الحزب الذي رشّحه أولا للعمل في مناطق ريفية للدعوة إلى

---

[35] كارل ماركس (1818–1883) ولد في المانيا، كان أبوه محامياً من أصل يهودي لكنه اعتنق المسيحية، درس ماركس في جامعة برلين وكان صاحب النظرية الماركسية او الاشتراكية العالمية وأصبح من أعظم مفكري البناء الاشتراكي في العالم كما صاغ اسس المادية والجدلية، له عدة مؤلفات منها رأس المال، وحول المسألة اليهودية، وأصدر مع صديقه انجلز عام 1848 البيان الشيوعي الذي يحتوي على خلاصة فلسفتهما الاجتماعية، ويحددان فيه الطابع الطبقي الاستغلالي للنظام الرأسمالي، للمزيد ينظر : عبد الوهاب الكيالي وكامل الزهيري، **الموسوعة السياسية**، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 1974، ص475.

[36]الكومنتانغ، حزب سياسي أسسه صن يات صن عام 1912، والكومنتانغ تعني حزب الشعب الوطني، تولى قيادة الحزب بعد وفاة صن يات صن عام 1925 الجنرال تشانغ كاي شيك، خاض الحزب حرباً ضد الحزب الشيوعي للفترة (1927–1949) وانتهت بخسارته أصبح حزب الكومنتانغ هو الحزب الحاكم في الصين الوطنية (تايوان) بعد عام 1949، للمزيد ينظر: محمد علي القوزي، حسان حلاق، **المصدر السابق**, ص102.

[37] تشانغ كاي شيك (1888–1975) : ولد في قرية صغيرة تقع جنوب مدينة شنغهاي، التحق بالأكاديمية العسكرية بطوكيو 1907 وتعرف على صن يات صن في اليابان وأنضم إلى التحالف الثوري والمناهض للأسرة المانشو، عاد إلى الصين وشارك في ثورة 1911 التي أسقطت حكم المانشو ، إذ كان قائداً لأحد الأفواج العسكرية، تولى عام 1924 عمادة اكاديمية وامبوا العسكرية، وبعد وفاة صن يات صن عام 1925 أصبح رئيساً لحزب الكومنتانغ ،خاض صراعاً مع الحزب الشيوعي أنتهى بخسارته عام 1949 وهرب إلى تايوان وأقام هناك حكومة الصين الوطنية. للمزيد ينظر :

Encyclopedia, New Britannica Vol.3 P.191

[38]اقليم كيانغسي : وهو اقليم يقع في وسط الصين عند المجرى الأسفل لنهر اليانغ تسي وتبلغ مساحته (100.000كم2) وهو من اكثر الاقاليم كثافة في السكان يشتهر بأنه أرض المسك والأرز, وعاصمته مدينة نانكنغ تبلغ مساحتها(6598كم2) =كانت في الماضي عاصمة لأسرة المنغ (1368–1421) كما اتخذت ايضا عاصمة لجمهورية الصين عام 1912،. شيوي قوانغ، **جغرافيا الصين**، ترجمة محمد أبو جراد، دار النشر باللغات الأجنبية، بكين، 1987، ص116–119؛ محمد شفيق غربال ، **الموسوعة العربية الميسرة**، القاهرة، 1965, ص1819.

سياسات الحزب وتثوير الأرياف، وإنقاذ البلاد من محنتها. شارك منذ عام 1929 في حملات عسكرية ضد الكومينتانغ وفي حملات إصلاحية داخل الحزب. وشارك بالمسيرة الكبرى (8 آلاف ميل) للجيش الأحمر عامي 1934–1935، وهي مسيرة نزوح اضطراري بظروف صعبة وتضاريس معقدة لمئات آلاف الشيوعيين استمرت أكثر من 375 يوما من مقاطعة جيانغشي بوسط شرقي الصين إلى مناطق الصين الداخلية شمالا وصولا إلى شانغسي، تفاديا لهجمات حزب الكومينتانغ[39]

ساهم بشكل فعّال في قيادة فصائل ووحدات عسكرية من الجيش الأحمر خلال الحرب الأهلية التي أطاحت بحزب الكومينتانغ، ومن ثم التمهيد لتأسيس جمهورية الصين الشعبية عام 1949. وأظهر شجاعة وحكمة تنظيمية وسياسية خلال حرب مقاومة الصين للغزو الياباني الذي بدأ عام 1937, تلك التجارب التنظيمية والعسكرية الميدانية، منحته الخبرة والصبر والتحمل والعلاقات الطيبة أيضا، وكانت خير معين له في حياته السياسية اللاحقة بحلوها ومرّها. نقول حلوها ومرها لأنه عانى كثيرا من التآمر والإبعاد القسري عن الحياة السياسية والحكومية[40]، بسبب خلافاته مع العديد من السياسيين الذين عاصرهم. وفي الجانب الاجتماعي، تزوّج ثلاث مرات، وكانت الثالثة ثابتة، وأنجبت له خمسة، ثلاث بنات وولدان.

تمّ تعيينه لمهمة مدير القسم السياسي للحزب خلال حملة المسيرة الكبرى. وخلال حرب مقاومة الغزو الياباني، تولى مهمة المفوض السياسي الحزبي للكتيبة 129 من جيش الطريق الثامن، التي نمت وتطورت لتصبح واحدة من أكبر الوحدات العسكرية خلال تلك الحرب. وبعد انتهاء الحرب الأهلية وتأسيس الجمهورية عام 1949، ظلّ يمارس مهامَ حزبية هامة في مقاطعات البلاد إلى أن عاد لبكين في عام 1952 ليتدرج سريعا في سُلم المناصب والمهام الحزبية[41]، فتسلم عدة مناصب كنائب لرئيس مجلس الدولة ونائب رئيس لجنة الشئون المالية، ثم وزيرا للمالية ومديراً لمكتب الاتصالات للحزب، إلى أن تفرغ من كل هذه المناصب، عدا نائب رئيس مجلس الدولة، ليتبوأ منصب الأمين العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني عام 1954، ثم عضوا في المكتب السياسي للحزب. وخلال المؤتمر الوطني الثامن للحزب عام 1956، ترسخت جهوده ودوره كأمين عام للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، ومديرا لقسم التنظيم بالحزب، ونائب رئيس اللجنة العسكرية المركزية[42].

بدأت أدواره السياسية بالظهور منذ مطلع الثلاثينات للقرن العشرين، ولكن بصماته المميزة اتضحت أكثر في السبعينات في عام 1973، ظهر هذا الرجل القصير القامة الأنيق المظهر خلال حفل استقبال لرئيس وزراء كمبوديا آنذاك نوردوم سيهانوك. وعلى ضوء سمعته كرجل براغماتي، كان واضحا أن قيادة الحزب الشيوعي الصيني، وعلى رأسها ماو تسي تونغ، قد دعته للإسهام في جهود الحكومة لتحريك الاقتصاد المتعثر، ثم

---

[39] وو بن , **الصينيون المعاصرون**, ج1, ترجمة, عبد العزيز حمدي, المجلس الوطني للثقافة للفنون والآداب, الكويت, 1990, ص 289.

[40] فوزي درويش, **المصدر السابق**, ص 142.

[41] محمد علي القوزي، حسان حلاق، **المصدر السابق**, ص111.

[42] وو بن , **الصينيون المعاصرون**, ج1, ص291.

الاستعداد ليحل محل رئيس مجلس الدولة في حينه تشو إن لاي، الذي بدت عليه علامات المرض الخطير, وخلال انعقاد أول دورة للمجلس الوطني الرابع لنواب الشعب في بكين عام 1975، تم تكليفه بتسيير شئون البلاد كنائب لرئيس مجلس الدولة(مجلس الوزراء)[43]، بفضل ما يُعرف عنه من جرأة في تحمل المسئوليات والمهام الصعبة, وكان اختياره موفقا، لأن الاقتصاد الصيني حقق في تلك السنة أفضل معدلات نموه منذ الثورة الثقافية (1967–1977), وبسبب أفكاره الجريئة الخاصة، ظهرت الخلافات منذ الثلاثينات بينه وبين بعض زملائه الثوريين الذين اتهموه بمختلف التهم وأجبروه على التنحي من مناصبه بالحزب والدولة عدة مرات، لكنه كان يعود أقوى في كل مرة.

في عام 1966، اتهم بكونه "مُروّجا للرأسمالية"، ووُضِع رهن الإقامة الجبرية في منزله لأشهر عديدة, في عام 1969، حين كانت الثورة الثقافية في أوجها، نُفي هو وعائلته إلى مقاطعة جيانغشي جنوب شرق الصين، حيث عمل في أعمال شاقة بمعمل للجرارات الزراعية. وكانت المرة الثالثة والأخيرة لإقصائه عن الحياة السياسية لفترة قصيرة بعد وفاة تشو إن لاي في كانون الثاني عام 1976، حيث اتهمه خصومه السياسيون بتحريض الناس، وأقنعوا الزعيم ماو، وهو على فراش المرض، بإقالته، لكنه عاد للحياة السياسية مرة أخرى بعد وفاة ماو في سبتمبر عام 1976، وذلك بفضل دعم أبداه رفاق له من أيام النضال العسكري. تعززت العودة السياسية لدنغ شياو بينغ واكتسبت زخما خلال الفترة بدءا من عام 1977 ثم تكللت بتبوءه في عام 1978 المكانة القيادية الأعلى بالصين، وهي رئيس اللجنة العسكرية المركزية[44].

المحور الثالث: الصين في عهد دينغ هيسياو بينغ 1976–1992.

في العام 1976 توفي الزعيم الصيني ماو تسي تونج، وفي العام نفسه توفي رئيس وزرائه شوان لاي، وبعد عامين من الصراع على السلطة في الصين وصلت إلى الحكم قيادة تمتلك رؤية مختلفة عن الرؤية التي كانت تسود في الفترة السابقة. هذه الرؤية عمل بها ورسخها الرئيس دينج شياو بينج, تبعاً لذلك تغيرت الاولويات بالنسبة للقيادة في الصين ليتصدر الأولويات هدف الإصلاح الاقتصادي وتحقيق مستوى من العيش الكريم للمواطن الصيني وصولاً إلى رفاهية هذا المواطن.

إن استلام قيادة جديدة لزمام الأمور في الصين في عام 1978 كان قد اشر لبداية جديدة في مسيرة الصين والتي انتقلت فيما بعد بالصين إلى مستويات اقتصادية متقدمة قياساً لما كان عليه الحال قبل عام 1978[45].

وهذه القيادة تمتلك رؤية جديدة تختلف عن الرؤية الماوية والتي تذهب باتجاه الانفتاح على العالم الخارجي ولاسيما العالم الغربي، وأحداث إصلاحات اقتصادية تكون كفيلة بتحقيق الاكتفاء الذاتي للصين ومن ثم تحقيق مستويات من الرفاهية مرضية للمواطن الصيني.

---

[43] **المصدر نفسه**, ص291.

[44] فوزي درويش, **المصدر السابق**, ص144.

[45] وو بن , **الصينيون المعاصرون**, ج1, ص296

قاد دينغ(1904–1997) اوسع عملية شهدها التاريخ لخروج البشر من الفقر إلى الطبقة الوسطى, حيث ارتفع متوسط دخل الفرد في الصين من 151 دولاراً أمريكياً في عام ١٩٧٨ ليصل إلى أكثر من ٦ آلاف دولار في عام ٢٠١٢, وخلال المدة المذكورة، يقدر أن أكثر من ٢٣٠ مليون صيني انتقلوا من معدلات دخل تصنف على أنها تحت خط الفقر لينضموا إلى الطبقة الوسطى (أي بمتوسط دخل سنوي للفرد لا يقل عن ٩ آلاف دولار)[46], لم يتردد دينغ في وصف النظام الإداري السائد في الصين آنذاك بأنه متخلف ومترهل وأن مثل هذا النظام من الصعب أن يقدم شيئاً ملموساً لمعالجة المشكلات التي يواجهها الشعب الصيني[47], موضحاً أن الصين لا يمكنها أن تبرهن على أن النظام الاشتراكي الذي تؤمن به هو الأفضل إذا كانت تحقق معدلات نمو اقتصادية أقل من تلك التي تحققها الدول الرأسمالية. ومن ثم فقد خلص إلى أن نجاح الصين في تحقيق التحديث الاقتصادي مرتبط بوجود بيئة مؤسسية لها أربعة أركان: رسالة سياسية واضحة ومتسقة، واستقرار سياسي، وعمل جاد وروح قيادية، وأن يجمع المسؤولون بين حس المسؤولية المجتمعية والمعرفة العلمية التخصصية[48].

قامت استراتيجية دينغ في التغيير والإصلاح على عدة عناصر؛ يأتي على رأسها إعطاء أهمية مطلقة للتعليم وبناء قاعدة صلبة للبحث العلمي والتطوير التقني وجذب الاستثمارات الأجنبية المباشرة مع إحداث انفتاح تدريجي على العالم والتعلم من التجارب الناجحة. كان أسلوب إدارته معتمداً بشدة على التجريب والخطوات المحسوبة وفق قواعد مغايرة للأسلوب السوفياتي في الإصلاح القائم على العلاج بالصدمات والتحولات المتسارعة التي قادت في النهاية إلى تفكك المعسكر السوفياتي برمّته. في المقابل كان دينغ يؤكد دوماً الحكمة الصينية التي تقول " إنك لكي تقطع النهر إلى الضفة الأخرى عليك أن تبحث عن أحجار تعتمد عليها في كل خطوة بحيث تساعدك على عبور النهر من دون أن تسقط ويجرفك التيار " عندما عاد دينغ إلى تولي بعض المسؤوليات السياسية بعد وفاة ماو سنة ١٩٧٦ كانت من أولى مهماته مسؤولية إعادة إحياء التعليم الذي خلخلت " الثورة الثقافية " كيانه بشدة[49].

كان رأي دينغ أنه من غير الواقعي أن تفترض أنه يمكنك أن تبني مجتمعاً متقدماً ومسالماً إذا لم تنجح أولاً في أن تؤسس لنظام تعليمي رصين, لذا فقد سعى لإيجاد أولوية مطلقة للإنفاق على إعادة تأهيل نظام التعليم وإحياء أنشطة البحث العلمي، نظراً لأن ثمار إصلاح نظم التعليم لا تنحصر في جزئية توفير فرص عمل ملائمة، بل كونها تشكل دعامة متينة لانتقال المجتمع بأكمله إلى الحداثة والرقي, ووفقاً لهذا الإيمان كان من المنطقي أن تكون غاية القرض الأول الذي حصلت عليه الصين من البنك الدولي في السبعينيات هو توسيع وإصلاح نظام

---

[46] سمير امين واخرون, **الاشتراكية واقتصاد السوق تجارب(الصين– فيتنام– كوبا),** ط1, مكتبة مدبولي, القاهرة, 2003, ص27.

[47] صلاح خلف مشاي, **المصدر السابق**, ص 223.

[48] الان رو, **الصين في القرن العشرين**, تعريب, صباح ممدوح كعدان, الهيئة العامة السورية للكتاب, دمشق, 2012, ص 147

[3] Cheung,Steven N , Contemprary Economic Policy, ,v.16no2(Apr.1998)p.16

التعليم العام, لذا، فقد تم العمل على هيكلة العمل التربوي بشكل كلي مع الاهتمام بتعليم الرياضيات والعلوم واللغات، وتم كذلك انتقاء ذوي الملَكات والقدرات والمهارات من الشباب الصيني وإخضاعهم لبرامج تعليمية ممنهجة مع تدريب عملي مكثف ومنحهم فرص الاحتكاك بالعالم الخارجي حتى يتمكنوا من المساهمة بفاعلية في التنمية, ومن أجل ضمان تسريع عملية انتقال الصين إلى مصاف الدول الصناعية شرعت الحكومة في برنامج ابتعاث واسع لمختلف الدول المتقدمة[50].

إن الاهتمام ببناء الكوادر المتخصصة هي أحد أبرز معالم تجربة الصين الجديدة، وبخاصة عندما تولى رئاسة الوزراء الإصلاحي زهاو زيانغ في الثمانينيات؛ حيث أوجد معاهد لتخطيط السياسات في مختلف أوجه التنمية الاقتصادية والاجتماعية وقد زيدت مخصصات البحث العلمي من مبلغ لا يكاد يذكر في السبعينيات لتصل إلى مبلغ يشكل نحو ٢ بالمئة من إجمالي الناتج المحلي الصيني اليوم. وتم العمل على استقطاب أبرز العلماء في العالم للتدريس أو لإجراء بحوث في الصين أو لحضور مختلف الفعاليات العلمية بهدف الاحتكاك مع المختصين في الداخل. وتم الطلب من مختلف رؤساء الشركات والقياديين البارزين في إدارة الأعمال أن يزوروا الصين وأن يقدّموا توصياتهم للمسؤولين حول ما تحتاج البلاد إلى فعله لتنشيط جانب معين أو قطاع تنموي محدد[51].

دُشن المشروع التجريبي للمناطق الاقتصادية الخاصة في غوانغ دونغ في نهاية السبعينيات وذلك بقصد مواجهة محاولة آلاف الشباب الهروب إلى هونغ كونغ المحاذية بحثاً عن مستوى دخل أعلى. وبدلاً من إنفاق المال والجهد على منع هؤلاء الراغبين في الفرار من " النعيم الاشتراكي " تم– بعد نقاشات مطولة – إقرار إيجاد مناطق جاذبة للاستثمار الأجنبي بهدف توفير فرص عمل ذات أجور معقولة، والتسريع في عملية انتقال التقنية وأساليب الإدارة الحديثة إلى المؤسسات الصينية[52].

مع نجاح التجربة تم تعميمها في الكثير من المناطق الأخرى. كان برهان هذا النجاح أن صادرات الصين قد ارتفعت من عشرة مليارات دولار في عام ١٩٧٨ لتصل، إلى أكثر من تريليون دولار في عام ١٩٨٨ أي تضاعفت أكثر من مئة مرة. وتصل نسبة مساهمة المنشآت الأجنبية العاملة في الصين حالياً إلى أكثر من ثلث الإنتاج الصناعي الصيني. كانت هناك عدة عوامل أسهمت في هذا النجاح، أهمها: حدوث نقاش تخصصي عميق ومسبق حول خيارات الصين التنموية ومزاياها النسبية وكيفية تعظيم الاستفادة من كل مشروع استثماري أجنبي، ووجود محطة واحدة لكل إجراءات ترخيص الاستثمار، ومحاولة تحصيل قيمة عادلة للضرائب المفروضة على المشروعات الاستثمارية، وإبقاء تكلفة أجور العمال تنافسية مع العمل على رفع إنتاجيتهم من خلال توفير أنظمة تدريب رصينة، ورفع كفاءة أداء الأجهزة الحكومية في المناطق الاقتصادية بحيث تكون قادرة على تلبية

---

(1) David Wolf ,**Genera Deng Xiaoping in conversation with Soviet Ambassador S.v.** Chervonenko(12 Sep 1960),p.158

(2) سمير امين واخرون, **المصدر السابق**, ص 29.

(1) Paul Zarembka ,**Deng Xiaopings reform and the chinese workers,participation in the portest movement of 1989**, Yale University,dep,Political Science,new Haven,p.14.

متطلبات الشركات الأجنبية[53], كانت حياة دينغ متقلبة في مباشرته للسلطة؛ ومن الطبيعي أن يختلف الناس في تقييم شخصيته وإنجازاته. يرى البعض أن نقيصة دينغ الكبرى هي أنه ليس إلا مسؤولاً زئبقياً مستعداً لأن يفعل أي شيء ليرضي رؤساءه، حتى لو كان ذلك على حساب بعض الضحايا. حيث إن دينغ شارك في الخلاص من الكثيرين من أصحاب الأراضي بعد وصول الحزب الشيوعي للسلطة، وقد حصل على ثناء علني نادر من ماو على ذلك. ثم إن دينغ لم يفعل أي شيء من أجل الملايين الذين ماتوا جوعاً نتيجة سياسة ماو " القفزة الكبرى إلى الأمام ".

ولا ينسى دور دينغ في قمع الاحتجاجات الشبابية في عام ١٩٨٩ . إلا أن آخرين يرون أن دينغ كان يسعى لمصلحة طويلة الأجل للصين. وكان يدرك أن البلاد لم تكن مهيأة للوصول إلى تجربة الحكم الديمقراطي على النمط السائد في الغرب.

كان دينغ يرى أن الهدف الرئيسي للحكومات يجب أن يتمحور حول وضع السياسات التي تكفل زيادة نسبة المواطنين الذي يحصلون على دخل يضمن لهم مستوى معيشياً جيداً وذلك من خلال إرساء نظام سياسي يقوم على أسس العدالة والاحترافية في الإدارة. ومن ثم، فإن وعي الناس وإدراكها لواجباتها وحقوقها سوف يتيح لها أن تجد الوسائل التي تجعلها تتعلم كيفية إدارة شأنها الخاص والعام بشيء من السعة في اختيار الأفضل والقدرة على تقبل الاختلاف والتعدد[54].

النقيصة الأخرى التي أخذت على دينغ هي أن قبضته على الفاسدين في النظام كانت ناعمة، وأن مبدأه القائل بأنه " يجب أن ندع بعض المناطق تنعم بالثراء أولاً " قد امتد ليشمل الأفراد كذلك من دون وضوح للكيفية التي يصل بها هؤلاء الأفراد للثراء، وبخاصة حين يكونون من ضمن أفراد السلطة. ولكن أحداث ميدان تيان آن مين عام ١٩٨٩ دفعت دينغ إلى إعادة النظر في ذلك، حيث إن تذمر الشباب من انتشار الفساد في أروقة السلطة كان عاملاً رئيسياً في الاحتجاجات التي سببت حرجاً واسعاً للقيادة ودفعتها إلى مراجعة نظام المراجعة والمحاسبة[55]. وتم بالفعل سجن وإعدام الكثيرين من المسؤولين الفاسدين واسترجاع ما استحوذوا عليه من المال العام يجدر بالذكر أن طبيعة النظام المركزي وضخامة حجم الاقتصاد مع عدد سكان يزيد على مليار و ٣٠٠ مليون مواطن كلها عوامل تسهم في خلق بيئة ذات ميل حدّي مرتفع لممارسة الفساد. ولذلك، فإن وتيرة الصراع بين المخلصين الطامحين إلى وجود صين قوية ومستقرة والفاسدين ستظل مستعرة. وبهدف إعادة كسب ثقة المواطنين ازداد، سقف الحريات العامة منذ أحداث ١٩٨٩ وبخاصة حرية وسائل الإعلام المحلية في نقد وجوه الفساد في أجهزة الحكومة كذلك ارتفع بشكل كبير سقف الشفافية

---

(2) Barry Naughton,**Deng Xiaoping** ; The Economist,Cambridge University press,University of London,p.495.

[54] سمير امين واخرون, **المصدر السابق**, ص 31.

[55] **المصدر نفسه**, ص31.

والمعلومات المتاحة حول أداء الأجهزة المذكورة, وبالتالي اتسعت قنوات المساءلة وتدعمت قواعد الحكم الرشيد.

إضافة إلى ذلك، ومن أجل ضمان تقليص احتمالية حدوث أخطاء فادحة في الأداء الحكومي، فإن النظام السياسي الصيني انتهج خلال العقدين الأخيرين سياسة حازمة في اختيار القيادات على مختلف المستويات، حيث الكفاءة هي الفيصل في ارتقاء سلم المسؤوليات العامة، مع خضوع الكوادر لتدريب منهجي صارم وتقييم جاد ومستمر أثناء الممارسة العملية. وهذه القدرة على اختيار وتأهيل الكفاءات أصبحت سمة تعرف بها الصين اليوم[56].

الخاتمة.

دخلت الصين بعد عام 1978 مرحلة جديدة في مسيرتها والتي قطعت من خلالها شوطاً غير قليل في المجال الاقتصادي الذي مكنها فيما بعد من ترسيخ مكانتها الإقليمية والدولية.

كان وصول دينج شياو بينج إلى السلطة في الصين عام 1978 وتطبيقه سياسة الإصلاح الاقتصادي والانفتاح على العالم بداية مرحلة جديدة في مسيرة الصين الشعبية والتي حققت لها فيما بعد نتائج مرضية، بل أصبحت نموذجاً يشار إليه من قبل بقية دول العالم. هذه السياسة انتقلت بالمستوى المعاشي للمواطن الصيني إلى مستويات أفضل قياساً مع الفترة السابقة على تطبيق هذه السياسة. فهذه التجربة كانت ولا زالت تحقق مستويات غير متحققة في أية دولة أخرى مما كان له أثر إيجابي انعكس في عدة مؤشرات مثل معدل النمو الاقتصادي، الناتج المحلي الإجمالي، مستوى دخل الفرد، حجم مساهمة الصين في التجارة العالمية وغيرها من المؤشرات.

ومن المميزات التي تميزت بها هذه التجربة هو انها سلكت منهج التدرج في تطبيق الإصلاحات، وهذا ما أعطاها حصانة ضد الفشل الذي أصاب غيرها من التجارب الاخرى. ولهذا فانها تعتبر من أرقى التجارب في هذا المجال.

المصادر.

(1) الان رو, الصين في القرن العشرين, تعريب, صباح ممدوح كعدان, الهيئة العامة السورية للكتاب, دمشق, 2012.

(2) اوديد شبنكار, العصر الصيني الناهض وتأثيره على الاقتصاد العالمي وتوازن القوى, ط1, ترجمة, سعيد الحسينة, الدار العربية للعلوم, بيروت, 2005.

(3) أيفان بروشيف، المسألة القومية بالاتحاد السوفيتي، تعريب فارس غصوب، دار الفارابي، بيروت، 1973.

(4) جورج مدبك, السياسي والمفكر والزعيم الصيني ماو تسي تونغ, دار الراتب الجامعية, بلا.

(5) ريتشارد كيرت كراوس, ط1, الثورة الثقافية الصينية, ترجمة, شيماء طه الريدي, القاهرة, 2014.

(6) ستار حامد عبد الله العماري، الزعيم الصيني صن يات صن(1866–1925) دراسة تاريخية، رسالة ماجستير, كلية التربية – صفي الدين الحلي – جامعة بابل، 2011.

([56])اوديد شبنكار, **العصر الصيني الناهض وتأثيره على الاقتصاد العالمي وتوازن القوى**, ط1, ترجمة, سعيد الحسينة, الدار العربية للعلوم, بيروت, 2005, ص ص 129–131.

(7) سمير امين واخرون, الاشتراكية واقتصاد السوق تجارب(الصين– فيتنام– كوبا), ط1, مكتبة مدبولي, القاهرة, 2003.

(8) شارل هو, الصين ثورة من ؟ , مركز دراسات الاشتراكية, مصر , 1995.

(9) شيوي قوانغ، جغرافيا الصين، ترجمة محمد أبو جراد، دار النشر باللغات الأجنبية، بكين، 1987.

(10) صبيح بشير عذاب, التغلغل الاسرائيلي في الصين الدوافع والاهداف,(بحث), مركز الدراسات الفلسطينية, جامعة بغداد, العدد, السابع, 2008.

(11) صلاح خلف مشاي, سياسة الصين تجاه القضية الكورية 1945–1953, اطروحة دكتوراه, كلية التربية, الجامعة المستنصرية, 2013.

(12) عفاف مسعد العبد, دراسات في تاريخ الشرق الاوسط, دار المعرفة الجامعية, الاسكندرية, بلا.

(13) عبد الوهاب الكيالي وكامل الزهيري، الموسوعة السياسية، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 1974.

(14) فوزي درويش, الشرق الاقصى الصين واليابان 1853–1972, مطابع غباشي, القاهرة, 1997.

(15) فهمي هويدي, الاسلام في الصين, المجلس الوطني للفنون والاداب, الكويت, 1981.

(16) فؤاد محمود شبل, حكمة الصين, ج2, القاهرة 1968.

(17) لمياء محسن محمد الكناني، سياسة الولايات المتحدة تجاه جنوب شرق أسيا دراسة تاريخية في القضية الفيتنامية (1945–1975)، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، 2004.

(18) محمد شفيق غربال ، الموسوعة العربية الميسرة، القاهرة، 1965.

(19) محمد علي القوزي واحسان العلاق, تاريخ الشرق الاوسط الحديث والمعاصر , ط1, دار النهضة العربية, بيروت, 2001.

(20) نوري عبد الحميد العاني وآخرون، تاريخ آسيا الحديث والمعاصر . ط1، بغداد، 2006.

(21) وو بن , الصينيون المعاصرون, ج1, ترجمة, عبد العزيز حمدي, المجلس الوطني للثقافة للفنون والاداب, الكويت, 1990.

المصادر الاجنبية

(1) Paul Zarembka,Deng Xiaopings reform and the chinese workers,participation in the portest movement of 1989, Yale University,dep,Political Science,new Haven,.
(2) Barry Naughton,Deng Xiaoping ; The Economist,Cambridge University press,University of London.
(3) Cheung,Steven N, Contemprary Economic Policy,v.16no2,(Apr.1998)
(4)David Wolf ,Genera Deng Xiaoping in conversation with Soviet Ambassador Chervonenko(12 Sep 1960),
(5)Encyclopedia, New Britannica Vol.12
(6) Encyclopedia, New Britannica Vol.3

مواقع الانترنت

(1)Arbhttp://e:ites/Mao for
(2)Arbhttp://e:ites/Mao for